

اليهود في الأندلس

من ١٢٠٢م / ٧١١هـ إلى ١٤٩٢م / ٩٠٢هـ

دراسة تاريخية لحور اليهود في الفتح وفند الحياة الثقافية بالأندلس

للدكتور / محمد رضا عبد العال محمد

المقدمة :

تمتع اليهود بحريات كبيرة في شبه جزيرة أيبيريا في عهد ملوك القوط الوثنيين قبل أن تغلب المسيحية . فتقررت لكبر جالية يهودية بها في أوروبا . وبدخول المسيحية تفسرت المعاملة بالنسبة لليهود من ملوك القوط ، حيث بدأت الاضطهادات ضد اليهود بعد القرارات التي اتخذتها المجالس الكنسية المسيحية والتي اشتكت في معاملة اليهود واضطهادهم ، حتى أصبح اليهود يرجون الخلاص بأي سبيل . وهذا يفسر ترحيب اليهود بالعرب المسلمين في أحداث الفتح وتعاونهم الكبير معهم .

وقد أفاد الجيش الإسلامي فائدة كبيرة من جماعات اليهود والأيبيريين على حد سواء نتيجة للظلم الواقع عليهم . فنذكر الرازي : " أن طارقا جعل من اليهود بعض حرس المدن المفتوحة يستأمة إليهم دون انصاري للعدوة بينهم ^(١) .

وتلك نتيجة طبيعية لأن اليهود كانوا مضطهدين جدا من القوط قبل الفتح الإسلامي ، وعندما شاهدوا انصاف المسلمين انضموا إليهم وانصروهم ، فكافأهم المسلمون على ذلك ، فكما دخل المسلمون مدينة حرروا يهودها ، وفي مقابل ذلك كان اليهود يمرضون على كائد الجيش الإسلامي خدماتهم وكثيرا ما كان يوكل قائد الجيش إلى اليهود حراسة المدن المفتوحة وتأمينها تحت إمره عدد قليل من الجنود المسلمين . ولما استقر الحال للمسلمين منحهم حريات كانوا لا يحملون بها في تلك البلاد التي ساءت لهم سوء المذاب . ونتيجة لذلك هاجر كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس .

وتجمع اليهود في مدن معينة وفي أحياء خاصة بهم ، وعاملهم المسلمون معاملة أهل الذمة في الإسلام ، وسما بالمستعربين مع أهل البلاد الذين احتفلوا بديانتهم . وتعلم اليهود اللغة العربية ، وعملوا في وظائف الدولة ، وانتشرت بينهم عادات العرب مع الحرية والمساواة .

وشهدت بلاد الأندلس في العهد الإسلامي حركة ثقافية وأدبية وعلمية يهودية بفضل الحرية السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية التي تمتع بها اليهود . فقام ازدهارهم الفكري العظيم .

(١) الرازي : فتح الطب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٢٤٧ " رواية الرازي في شأن الفتح "

وكانت الأندلس جنة اليهود خلال العصور الوسطى كلها فأسهم اليهود بجهده وافر في الحياة الثقافية بالأندلس ومن بين ذلك ؛ علم تقويم البلدان والمقصود به هو علم الجغرافيا والرحلات، واشتهر منهم إبراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي، وبنيامين التطيلي. ونشط اليهود في حركة الترجمة من أمثال حسداى بن شبروط، وأبراهام بن صمويل بن ليفى بن حسداى، وفي الفلسفة يعد ابن جبيرول أول فيلسوف يهودى، وقام بالترجمة إلى العبرية واللاتينية والأسبانية، وألف بالعربية.

وهناك كان مترجموا طليطلة اليهود بعد سقوطها في يد ألفونسو السادس عام ١٠٨٥م مثل الأسقف رايمونو، وجند يسالفي، ويوحنا اليهودى، ويوحنا بن داود الأسباني، وجيراردو الترموني ، الذى ترجم طائفة من كتب العرب فى الفلك والطب وبذلك نشطت فى طليطلة حركة الترجمة للتراث العربى الإسلامى فى مختلف العلوم والفنون.

وفى الطب واللاهوت والفلسفة، برع حسداى بن شبروط، وموسى بن ميمون القرطبي، الذى ذاع صيته وعالج الحكام الأيوبيين، وكان عالما بالدين اليهودى، ومعظم مؤلفاته بالعربية بخط عبرى، مثل كتابه السراج، وكتابه "دلالة الحائرين" الذى كتب بالعربية وترجم إلى العبرية واللاتينية ولغات أوروبية كثيرة، وهو تجميع لما في اليهودية من لأهوت وفلسفة، حاول فيه ابن ميمون أن يوفق بين العقل والدين كما فعل ابن حزم وابن رشد قبله. فكان اليهود واسطة لنقل التراث العلمى للمسلمين ومظاهر الحياة الإسلامية إلى أسبانيا المسيحية وأوروبا فى العصور الوسطى.

وحركة بعث اللغة العبرية والأدب العبرى بدأت فى الأندلس فى العهد الإسلامى ونشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم، وبذلك نستطيع أن نقول أن التراث اليهودى وازدهار اليهود وثقافتهم - نبغ ونمى فى ظل الإسلام وبشجيع من المسلمين، وفى ظل الحضارة العربية الإسلامية. وليس لليهود فى الأندلس حضارة خاصة بهم. فلم يكن هذا الازدهار الفكرى بين اليهود إلا ثمرة من ثمار الحضارة السياسية والاقتصادية والأدبية والعلمية والاجتماعية التى حظى بها اليهود من العرب الفاتحين.

أحوال اليهود في شبه جزيرة أيبيريا قبل الفتح الإسلامي :

كان اليهود يتواجدون في معظم الممالك الأوربية، لكن إزداد عددهم مع مرور السنين في أسبانيا، وخاصة في الجزء الجنوبي فيها، حتى أصبحت أسبانيا يسكنها أكبر جالية يهودية في أوروبا، ويرجع ذلك إلى أن ملوك القوط الوثنيين الذين حكموا أسبانيا قبل دخول المسيحية منحروهم حريات حرّموا منها في البلاد الأخرى، وبخول المسيحية شبه جزيرة أيبيريا تغيرت المعاملة بالنسبة لليهود، حيث بدأت الاضطهادات ضد اليهود بعد القرارات التي اتخذها المجلس الكنسي الحاكم في مدينة البيرا سنة ٣٠٣م وسنة ٣٠٤م. وهذه القرارات بعدم الاختلاط باليهود في المسكن والمأكّل، ومنعت المسيحيين من الزواج من اليهود، وألا يتمتع اليهود بثمار أى أرض يملكها النصراني، وألا يجلس يهودى ونصراني على طاولة واحدة، ومنع استخدام اليهود للمسيحيين في أى نوع من الأعمال، وضرورة عتق أى عبد مسيحي مملوك ليهودى، وفصل كل اليهود الذين في خدمة الحكومة (عدم تعيينهم مستقبلا، وضرورة تربية من تنصر منهم على الدين المسيحي الكاثوليكي وغير ذلك من التشريعات المتشددة^(١)).

وعلى العكس بدأ اليهود يستهزئون بالمسيحية ومعتقداتها، وكان استهزاؤهم يظهر بشكل واضح في عيد اليوريم الذي كانوا يحرقون فيه صليباً^(٢).

واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن اعتلى العرش الملك سيسبوتو (سبيرة أو سيفوط في النصوص العربية) حيث تزعم بعض الروايات أنه كان أخا لغيثشة أو اينال، ويذهب سافندرا إلى أنه لم يكن من العائلة وإنما من المتصلين بها وحسب .

وباعتلاء سيسبوتو العرش ضيق الخناق على اليهود وحرّموا من إقامة شعائهم الدينية، وأعطى مهلة لليهود مدة سنة للتفكير في اعتناق الديانة المسيحية أو الرحيل عن

Ashtor, Eliyahu, Korot ha-Yahudim bisfarat ha-muslmet, vol. I, Orshalem, 1966, pp. 9-13, pp

269-271; also an Eng. trans. from the Hebrew by Aaron Klein J. Machlowitz Klein, The Jewish Pub. Soc. of America, Vol. 1, Philadelphia, 1973, pp. 11-12;.

Craetz History of the Jews, vol, II, oxford, P. 627.

وانظر أيضا: حسين مؤنس، فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة - الدمام، ١٩٨٥، ص ٢٣-٢٧؛ على محمد حمودة تاريخ الأندلس السياسي والمرآني والاجتماعي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣٤

² Craetz, OP. Cit, P. 628.

أسبانيا. وبعد سنة هاجر كثير من اليهود من أسبانيا وتظاهر الذين بقوا باعتناق المسيحية حرصا على أملكهم وأرواحهم.

وكانوا يذهبون إلى الكنائس لكنهم ظلوا يؤدون الشعائر اليهودية ويحتفلون بالأعياد اليهودية سرا. (١)

ولما توفي الملك سيسبوتو خلفه على العرش الملك سوينتالا (٦٢١-٦٣١م Suintala) الذى ألغى التفرقة بين أجناس الشعب، والذي لم يكن متعصبا للمسيحية كسلفه،

وحكم البلاد بمقتضى قانون جديد مزج فيه القانون الرومانى القديم بالقانون القوطى، مما قرر السلام بين أهل المملكة^(٢). فانتهز اليهود هذه الفرصة وارتد كثير منهم إلى اليهودية علنا.

وبعد موته واعتلاء الملك سيساندو (٦٢١-٦٣٦م) رأى المجلس الكنسى أن يجدد قراراته السابقة الخاصة باليهود، ففى دورته الرابعة سنة ٦٣٣م بمدينة طليطلة قرر علاوة على قراراته السابقة إضافة ما يأتى:

١- يتحتم على كل يهودى أن يسلم لبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتقوم بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية .

٢- يسلم كل يهودى ارتد عن المسيحية لأحد المسيحيين ليتخذه عبدا .

غير أن تنفيذ هذه القرارات لم تأخذ طابع الحزم كذلك ، ولم يكف رجال الكنيسة فى التفكير لتضييق الخناق على يهود أسبانيا . (٣)

وفى عهد الملك شينتيلا قرر المجلس الكنسى بطليطلة طرد اليهود من البلاد . وما أن سمع اليهود بهذا القرار حتى سارع القاطنون منهم بطليطلة إلى قصر الملك وكتبوا له وثيقة يتعهدون فيها أنهم سيكونون مسيحيين مخلصين للكنيسة ولن يرتدوا إلى دينهم مرة أخرى . وحافظوا على عهدهم هذا علنا طوال أيام الملك "شينتيلا" (٦٣٦-٦٥٣م) .

وعندما مات واعتلى الملك "شينسفيتو" (٦٤٢-٦٥٣م) . ارتد كثير منهم إلى اليهودية وكانوا يقيمون الشعائر الدينية علنا ، وألغى التفرقة بين أجناس الشعب . (٤)

^١ Saavedra, Eduardo; Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid, 1892-PP. 30-33.

^٢ Ballesteras, Rafael; Histoire d, Espagne des origines a nos Jours, Paris, 1938, PP. 37-39.

^{(٣) (٢)} Manuel Tarres; Espana visgoda, T. III, PP. 760 77.

^(٤) Ballesteros, Rafael : op. Cit. P: 37-39.

وفى عهد الملك ريسفينتو (٦٥٣-٦٧٢م) أصدر سنة ٦٥٣ م - أمرا ملكيا ينص على أن أى إنسان يقوم بشعائر غير مسيحية فى مملكته يعاقب بالقتل أو الحرق أو الرجم حتى الموت . فاجتمع يهود طليطلة وذهبوا إلى قصره ووعدوه أنهم سيقيمون شعائر الدين المسيحى ، وليثبتوا أنهم تركوا الدين اليهودى سيأكلون الخنزير الذى تحرمه الشريعة اليهودية . وبالرغم من هذا الوعد الذى قطعوه على أنفسهم تعاقدوا فيما بينهم أن يقيموا شعائر الدين اليهودى سرا والذهاب إلى الكنائس المسيحية علنا ولم تمر فترة من الزمن حتى أحس رجال الدين المسيحى أن لليهود يحتفلون بالأعياد اليهودية فى منازلهم . فأمروا اليهود أن يتواجدوا فى الكنائس فى أيام المواسم اليهودية وأن يكونوا تحت رقابة رجال الدين حتى يضمنوا أنهم لا يحتفلوا بالمواسم اليهودية . وبالرغم من هذه الاحتياطات لم يكف اليهود عن ممارسة شعائرهم الدينية فكثروا بعد رجوعهم من الكنائس وسماعهم الرعظ المسيحى ينفذون الدين المسيحى . ويبدو أنهم يكتبون كتباً معادية للمسيحية لذا نجد الملك "إرفيجيو" يترشح على المجلس الكنسى الثانى عشر بمدينة طليطلة الذى انعقد برئاسة المطران جوليان اليهودى الذى اعتنق المسيحية ، عن إيمان ، يصدر أمرا بتحريم قراءة الكتب التى تنعady المسيحية ويحذر من ختان الأولاد الذى يعتبر أساسا من أسس الديانة اليهودية . (١)

اتجه اليهود بعد ذلك إلى التآمر - بعد أن لاقوا عسفا بالغاً متصلاً - فتفاهموا مع إخوانهم يهود المغرب على المؤازرة والتعاون ، وهم الذين تسميهم النصوص "أهل منا وراء البحار" (Los Transmarinos) ولكن المؤامرة لكشفت قبل نضجها سنة ٦٩٤م* وكان ذلك فى عهد الملك "ليخيكيا" ، فاشتبك فى معاقبتهم وأمر بتسليم كل اليهود سواء الذين اعتنقوا المسيحية والذين بقوا على دينهم عبيدا للمسيحيين ، ومعاقبة كل مسيحي ، يعتنق عبدا يهودياً. (٢)

وهكذا اشتد الأمر باليهود خلال السنوات الأخيرة للفترة القوطية ، حتى باتوا يرجون الخلاص بأى سبيل .

ويرى حسين مؤنس أن كل هذه القصة عن اتصال يهود أسبانيا يهود المغرب حيكت لتبرير اضطهاد اليهود وأن الأسبان طوال تاريخهم كانوا من أقسى الناس على مخالفتهم فى الدين . (٣)

(١) Cractz: op-cit, P. 629.

(٢) Y. Baer : op, cit, P. 21, Ashtor, op: cit, pp. 13-14.

(٣) يرى حسين مؤنس فى كتابه ، فجر الأندلس ، أن تعبير los transmarinos غير واضح ولا نعرف إذا كانوا راسلوا بربر أفريقيا أو يهودها أو العرب هناك ، ولا يستقيم أى فرض من الثلاثة ، لأننا لا نملك أى دليل على علاقة ما بين يهود أسبانيا وبربر أفريقيا قبل الفتح الإسلامى : أما يهود أفريقيا فكثروا فى محنة فى تلك الوقت ، لأن الحرب بين حسان بن النعمان والكاهنة فى جبال الأوراس كانت حينئذ على أشدها ؛ كما أنه ليس من الممكن أن يكون العرب قد راسلوا يهود أسبانيا وهم بعد لم يفتحوا المغرب الأوسط . انظر حسين مؤنس للمرجع السابق ، ص ١٥ .

والجو العام الذى ساد فى ذلك الوقت لابد وأنه قد ساعد فى ازدياد عدد اليهود المستترين *Judaizantes* وخصوصاً أنه يبدأ وجود قاعدة فى اليهودية تؤكد أن من كانت أمه يهودية ، فهو يهودى إلى آخر حياته مهما حاول أو اضطرت الظروف لتغيير دينه ، ومن الطبيعى أيضا أن يزداد الشعور الدينى فى أوقات كهذه مملوءة بالإضطهاد والتعذيب ، ويمكن أن نتوقع ازدياد الحركة الدينية السرية والحركة التبشيرية فى الخفاء .

ويبدو أن أيخكا "Egica" رجع عن سياسته تلك ضد اليهود فى أخريات أيامه ، فأحب أن يرفع السخط عن اليهود ، وتحدث إلى كبار أهل الدولة فيما انتواء من العفو عنهم ، وأخذوا يغفرون الناس به ^(١) وفى هذه الظروف مات غيطشة ميتة طبيعية فى أواخر سنة ٧٠٨ أو أوائل ٧٠٩م وبعد تولى "لذريق" للملك شعر باضطراب أمور البلاد عليه وظل طوال حياته متخوفا من وثبة تكون من أحد أعدائه الكثيرين ، لأن هؤلاء الأعداد لم يكونوا أولاد غيطشة وحدهم ، بل كانوا فى واقع الأمر جلة الشعب الأيبيرى الرومانى واليهود .

ولما أراد غيطشة ^(٢) (witiza) تخفيف هذه التشريعات المتشددة انقلب عليه رجال الكنيسة والناس . ^(٣)

وقد حفلت قرارات المجامع الدينية فى عهد لذريق بأسوأ الاتهامات لغيطشة وبينه واليهود . واستمر اضطهاد اليهود إلى أن دخل المسلمون الأندلس . ^(٤)

ويؤكد المؤرخون الأسبان أن اليهود باعوا أسبانيا للعرب المسلمين (فمثلا فتحوا أبواب طليطلة للعرب منتهزين فرصة انشغال المسيحيين بأحد السعف) وتأمروا على تسليمها لهم . ^(٥) ويرى المؤرخون اليهود أن هذه التهمة مبالغ فيها ، وحتى لو صحت فيبررها اضطهاد القوط المسيحيين المستمر لهم سنوات طويلة ، ومن الواضح أن أشتور لا يؤيد هذه التهمة أو ما أسماه "التعاون الكبير" الذى قام به اليهود وقدموه للعرب الفاتحين . ^(٦)

^(١) Saavedra: OP. Cit. P 30.

^(٢) الملك غيطشة جاء إلى الحكم فى سنة ٧٠٠م واشتد فى البداية على اليهود واضطهدهم كما تقول المراجع السابقة لكنه حاول تخفيف ذلك فى آخر أيامه فأثار الجميع ضده أنظر Saavedra, op. cit. P. 30.

^(٣) See Ashtor, op cit; P. 30

^(٤) Saavedra, op. cit. p. 37

^(٥) Ashtor, op. cit. pp. 17-23; levi provencal histoire de l'Espagne musulmane, paris, 1950-53, I, P. 80. وانظر أيضا : رينو ، تاريخ غزوات العرب ، ترجمة شكيب ارسلان ، القاهرة ، الحلبي ١٣٥٢ هـ ، ص ٢١٣ .

^(٦) Ashtor, op. cit., pp. 18-22 p: 407.

والياهمز^(١) أشتور يؤكد أن المصادر المسيحية هي التي كتبت عن فتح أبواب المدن في ماردة وطيطة وقرطبة وأشبيلية والبيرة وغيرها وأن هذا لا يظهر في المصادر العربية الموثوق بها فهي إذن قصة مختلفة ظهرت بعد حركة الاسترداد^(٢) ولا يوجد دليل قاطع عليها .

أما المصادر العربية فتذكر تفاصيل فتوحات الأندلس ، سنة ٩٢هـ / ٧١١م وما بعدها ، بعد ذكرها موقعة شذونة الكبرى وانتصار طارق بن زياد على لنزيق Roderego ملك القوط وبعد أن تقدم طارق بجيشه إلى استجة وهزم القوط مرة أخرى ولم يبق إلا أن يستولي المسلمون على المدن والقواعد الحصينة واحدة بعد الأخرى . وقد تقرر أن يسير طارق بنفسه إلى طليطلة عاصمة القوط وفي نفس الوقت أرسل طارق مغينا الرومي ، مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة في سبعمئة فارس^(٣) .

(١) Ashtor, op. cit., pp. 18-22, p. 407

ولقد اضافت بعض هذه المراجع لقصة تسليم اليهود لاسبانيا للعرب أن هذا التعاون لم يقتصر على الأندلس فقد امتد إلى فتوحاتهم وراء البرتات ، ولتحاز اليهود في لانجودوك languedoc إلى المسلمين ، وفتحوا لهم أبواب تولوز Toulouse كما جاء في كتاب ريفو ، تاريخ غزوات العرب ، ترجمة شكيب ارسلان ، القاهرة ، الحلبي ، ١٣٥٢ هـ ، ص ٢١٢ .

(٢) تقول بعض المصادر أنه قتل وال بعض الآخر يذكر أنه فقد أو انتحر غرقا بعد الموقعة وقال ابن الأبار في الحلة السيرا أنهم عثروا على جواده وسرجه ولحد نعليه وما وجد هو حيا ولا ميتا . انظر هذه الموقعة بين طارق ولنزيق في المقرئ ، أحمد بن محمد التلمساني ، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ١٢ وما بعدها ، مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق لافونتا والكنترا ، مدريد ، ١٨٦٧ ، ص ٦-١٢ .

تحرير اليهود على يد الجرحى

عندما سمع يهود أسبانيا بعبور الجيش الإسلامى مضيق جبل طارق وانتمساره فى أول معركة على أرض الأندلس سنة ٧١١ م فى كورة شذونة بقيادة طارق بن زياد تنفسوا الصعداء . وأخذوا يترقبون باهتمام بالغ أخبار الجيش الإسلامى الذى كان يخرج من نصر إلى نصر . وكلما تقدم المسلمون فى شبه جزيرة الأندلس تجدد روح الأمل فى نفس اليهود ، واستعدوا لاستقبال الجيش الإسلامى .

وجد المسلمون من اليهود المستعبدین مساعدة فعالة كانوا فى أشد الحاجة إليها وهم يتقدمون فى أرض لا يعرفون عنها الكثير، وكلما دخلوا مدينة حرروا يهودها، وفى مقابل ذلك كان لليهود يعرضون على قائد الجيش الإسلامى خدماتهم ، فكثيرا ما كان يوكل قائد الجيش إلى اليهود حراسة المدن المفتوحة وتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين .^(١)

ولا شك فى أن طارقا أفاد فائدة كبيرة من هذه الجماعات من الأيبيريين واليهود التى انضمت إليه . وقد وجد من اليهود الأدلاء الذين يقودونه فى هذه البلاد الواسعة التى لم يكن المسلمون يعرفون عنها شيئا .

وظل القائد المنتصر طارق يقود هذه الجماعات من العرب والبربر والموالى واليهود قاصدا طليطلة عاصمة القوط .

ويذكر الرازى "أن طارقا جعل من اليهود بعض حرس المدن المفتوحة استئمامة إليهم دون النصارى للعداوة بينهم" .^(٢)

وقد لاحظنا أن المسلمين كانوا لا يفتحون فى الأندلس بلدا إلا جعلوا بعض حرسه وحاميته من يهوده ويقول الرازى ثم لحق ذلك بالجيش المتوجه إلى البيرة ، فحاصروا مدينتها غرناطة ، فافتتحوها عنوة ، وضموا اليهود إلى قصبة غرناطة ، وصار ذلك لهم سنة فى كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده إلى القصبة مع مجموعة من المسلمين لحفظها وبمضى معظم الناس لغيرها ، وإذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد من المسلمين لحفظ ما فتح .^(٣)

(١) Saavedra Op. Cit. P. 79.

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، رواية الرازى فى شأن الفتح .

(٣) المقرئ : المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، برواية الرازى .

من نصن الرازي نستنتج أن اليهود قد وقفوا إلى جانب المسلمين وعاونوهم من أول الفتح في كل مرحلة من المراحل . وتلك نتيجة طبيعية ، لأن اليهود كانوا مضطهدين جدا من القوط قبل الفتح الإسلامي . وعندما شاهدوا فتصار المسلمين انضموا إليهم وناصروهم ، فكفاهم المسلمون على ذلك وكلما تقدم المسلمون في شبه جزيرة الأندلس تجدد روح الأمل في نفس اليهود ، واستعدوا لاستقبال الجيش الإسلامي . وكلما دخل المسلمون مدينة حرروا يهودها ، وفي مقابل ذلك كان اليهود يعرضون على قائد الجيش الإسلامي خدمتهم . فكثيرا ما كان يوكل قائد الجيش إلى اليهود حراسة المدن المفتوحة وتأمينها تحت إمرة عدد قليل من الجنود المسلمين .

ولما استقر الحال للمسلمين منحهم حريات كانوا لا يحملون بها في تلك البلاد التي سامتهم سوء العذاب . فمنحهم حرية التنقل في أنحاء البلاد والتجارة بها ، وألحقوهم بالوظائف العامة وأعدوا لهم أبنائهم الذين كانت الكنيسة قد أخذتهم لتربيتهم تربية مسيحية ومسحوا لهم ببناء معابدهم وإقامة شعائهم الدينية ومنحهم الاستقلال القضائي في القضايا الشرعية.

وعندما انتشر خبر فتح المسلمين للأندلس ومنح الحريات لليهود في أنحاء أوروبا هاجر كثير من يهود أوروبا إلى الأندلس ^(١) وكان اليهود يتجمعون في مدن معينة مثل قرطبة وملقا وطليطلة وأشبيلية وسرته وإلييرة "غرناطة" التي يقول الإدريسي أن سكانها كانوا من اليهود فقط ^(٢) ، وبذلك عرفت بغرناطة اليهود ^(٣).

وكان اليهود يتجمعون في حى خاص ، وهذا شئ طبيعي في ذلك العصر ^(٤) ، مسمى بحى اليهود ، ومنحهم المسلمون الفتحون حرية العبادة في بيعهم وحرية الملكية مع حماية السلطة الإسلامية لهم مقابل الطاعة ودفع الجزية . ولم نقرأ عن أى تشريع صدر خصيصا لليهود من قبل الأمراء المسلمين مما يفهم منه أنهم عوملوا معاملة أهل الذمة في الإسلام ، وذلك بفرض الجزية على كل حر منهم . ^(٥)

(١) جوزيف ماك كيب : مدينة المسلمين في إسبانيا ، ترجمة د. محمد تقي الدين الهلالي ، مكتبة المعارف للرباط ، ١٩٨٥ ، ص ٩٦ .

(٢) الإدريسي : وصف المغرب ، وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٠٥ .

(٣) عبد الرحمن زكي ، غرناطة وأثرها الفتن ، المكتبة الفتية ، العدد ١٧٦ ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ٢٦ .

(٤) ابن الأثير ، الحلة الميراء ، تحقيق حسين مؤنس ، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر وكذلك ط دار للمعارف ، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ملش ٣ .

(٥) وذلك كما جاء في الآية رقم ٢٩ من سورة التوبة رقم ٩ في القرآن الكريم ، ونظر العزري ، نصوص عن الأندلس ، ص ٥ ، حيث يذكر في عنوان كميير "ولن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية ، من ذلك على كل حر" .

وسمى أهل الذمة فى الأندلس بالمستعربين Mozarabes وهم أهل البلاد الذين احتفظوا بديانتهم^(١). لم يجبر المسلمون رعاياهم على اعتناق الإسلام ولكن دخله منهم من أراد ذلك طائعا مختارا^(٢) وترك الإسلام بتدبير أمور أهل الذمة لواحد منهم فى كل جماعة وكان يسمى قاضى المعجم^(٣). ويبدو أن العرب إذا تكلموا عن اليهود أطلقوا عليهم "جماعة اليهود" للتفرقة فى الكلام والفهم وتحديد أن المتكلم عنهم يهود وليسوا نصارى.

وانتشرت اللغة العربية مع الدين لمن أسلم ، ومع المصلحة وطلب الرزق والعمل فى وظائف الدولة لمن أراد ذلك من اليهود والنصارى على السواء . وانتشرت عادات العرب بالجواري والمخالطة والقوامة . وانتشرت كذلك الحرية والمساواة التى لم يكن ليحلم بها اليهود أو غيرهم فى ذلك الوقت^(٤).

وأشرك الفاتحون اليهود فى حراسة المدن مما كان فخرا لهم وإحساسا بالانتصار على القوط^(٥). ولما استتببت الأمور وسارت الحياة سيرها الطبيعي ، بدأت جماعات من اليهود - كانت قد فرت من اضطهاد القوط إلى شمال إفريقيا والغال فى فرنسا - فى الرجوع إلى الأندلس ، ومع الوقت أخذت هجرة اليهود إلى الأندلس تأخذ شكل الفيضان^(٦). وبدأ الكثير منهم يتصرفون كعرب فى مجالات حياتهم^(٧).

ولما قامت الخلافة الأموية فى قرطبة كان لليهود شأن آخر . وشهدت قرطبة منذ ذلك الوقت حركة ثقافية وأدبية وعلمية ودينية وجدت قمة إبداعها فى رجال من أمثال حسداى بن شبروط ودوناش بن لابرث ومناحم بن صاروخ (صاروف) وصمويل بن النغريله وسليمان ابن جابرول ويوسف بن مجاس ويوسف بن صديق ويوسف بن سهل ويهوذا اللاوى وابن ميمون وكثرة غيرهم من اليهود الذين ولدوا أو استوطنوا فيها أو اتصلوا عن قرب بقرطبة وغيرهم مما سنتحدث عنهم فى الجزء التالى من البحث .

(١) Simonet, francisco, Hist. de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1983. P. 74, Tomo I

(٢) عبد الحميد العبادي ، المجلد فى تاريخ الأندلس ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ١١٢ .
(٣) ابن سهل ، القاضي أبو الأصمغ عيسى ، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف مراجعة وتقديم د. محمود على مكي ، المستشار مصطفى كامل اسماعيل ، القاهرة د. ت. ، المقدمة ؛ وانظر كذلك.. Ashtor, op. Cit, p. 34.
(٤) ابن سهل ، المصدر السابق ، ص ٥ ؛ وأيضا راجع :
(٥) Goitein, S.D., Minority selfrule and government control in Islam, studia islamica 31 (1971), pp. 101-116.
(٦) Ashtor, op. cit., 29.

(٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٨) نفسه ، ص ٢٩-٣١ . ويقول أشتور أن عددهم وصل إلى مئات الآلاف وأنهم كانوا يعرفون اللاتينية وتعلموا العربية ، وكانوا يعرفون كيفية التعامل مع البربر .
(٩) المرجع نفسه ، ص ٣٤

ثانياً الحياة الثقافية والعلمية اليهود في الأندلس :

كان الجو العام في دولة الإسلام بالأندلس مشجعاً للإبداع الأدبي والإنطلاق العلمي حيث توفرت فيه المقومات الضرورية من الحرية والرخاء الاقتصادي والاستقرار والتسامح وتشجيع الأمراء والخلفاء - وكانوا هم أنفسهم علماء أحياناً - لكل مثقن ومجيد في مجاله كما كان عصر تبادل العلوم والمعارف في الداخل والخارج .

(أ) علم تقويم البلدان (الجغرافيا والرحلات) :

قام رحالة وجغرافيون يهود بالكتابة والتأليف في علم تقويم البلدان أو ما يطلق عليه حديثاً علم الجغرافيا .

فقد قام إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي ^(١) ، برحلات في بلاد الجليقيين والإفرنج وغيرهم من قبائل النصارى ، ومنها إلى بلاد الصقالبة (السلاف) ووصف الأرض وغذائهم ، حيث يقول : ' بلاد الجليقيين سهل جميعه ، والغالب على أرضهم الرمل ، وأكثر قوتهم الدخن والذرة ومعلوم في الأشرية على شراب التفاح ^(٢) وقد وصف السبرتونيين ، وهم سكان مقاطعة في شمال غرب فرنسا ، ووصف جبال الأندلس ، ومدنها ، وما اختصت به الأندلس من الأشجار والمعادن والأحجار ، ثم تكلم عن بلاد الفرنج إلى بلاد الصقالبة وهم ما يسمون اليوم بالسلاف في شرق ووسط أوروبا ثم وصف بلاد الروم وسير من أخبارهم ومذاهبهم ^(٣) .

ونلاحظ أن الجغرافي العظيم البكري اعتمد على ما كتبه الطرطوشي اعتماداً يكاد يكون تاماً . وإبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي رحالة ولكن وصف رحلته أقرب إلى كتب البلدانين والمسالكين ، ، فهو يذكر البلدان ويصفها ويعدد حاصلاتها ، وما يتاجر فيه أهلها ، ثم يذكر الطرق ومسافاتها بالأميال بتفصيل واسع تتخلله معلومات هامة عن الأحوال الاجتماعية والسياسية ^(٤) .

(١) البكري: جغرافيا الأندلس وأوروبا بتحقيق الحجي ، ص ٨٠ .

(٢) البكري : نفسه ص ٨٠-٨١

(٣) البكري : نفسه ص ص ٨٠-٢٣١

(٤) حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ص ص ٧٦-٧٩ .

ومن الذين كتبوا في هذا الفن بنيامين التطيلي المتوفى سنة ١١٩٠ م . الذي ألف كتابا بعنوان "مساعوث" أي الرحلات ، وبعد كتابه هذا مرجعا هاما في تاريخ اليهود وأحوالهم وجغرافية البلاد التي كانوا يعيشون فيها في عصره .

فقد كتب بالتفصيل عن رحلاته في شمال أسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا وتركيا وجزائر بحر إيجه وقبرص وسوريا وفلسطين والعراق واليمن ومصر وصقلية ، ووصف مدنها الرئيسية وأسماء اليهود البارزين في كل مدينة ، فوجد مثلا أنه قد ألفرد جزءا كبيرا لوصف روما والإسكندرية ، وأشار إلى المعاملة الطيبة التي كان يلقاها اليهود تحت ظل الخلافة الإسلامية . وقد كتب أيضا عن البلاد التي لم يزرها ولكنه سمع عنها مثل الهند وسيلان وبولندا وروسيا (١) .

(ب) الترجمة :

في أواخر القرن الثاني عشر نشط اليهود في نشر عدد كبير من مؤلفات العرب يون إخوانهم في الدين من أهل أسبانيا وجنوب فرنسا . ومن أمثلة ذلك ما فعله أبراهام بن صمويل بن ليفي بن حسداى فقد ترجم إلى العبرية كتباً عربية كثيرة منها كتاب "ميزان العمل" للغزالي ، ترجمه بعنوان "مزي صيدق" أي ميزان الصدق . وكذلك اجتهد مثلم بن يعقوب من أهل لوند بجنوب فرنسا في النهوض بحركة الترجمة من العربية إلى العبرية ، وحض أهل دينه من اليهود البروفسيين على الإقبال على العلوم . وكان من أثر جهوده أن تمت ترجمة الكثير مما ألفه اليهود بالعربية إلى العبرية ، ككتاب "الهداية إلى فرائض التلويح" ليحيا ، وكتاب "إصلاح الأخلاق" و "مختار الآلي" لان جيروول و "الكتاب الخزري" ليهودا بن ليفي ورسائل بن جناح في النحو واللغة العبرية (٢) .

ومن أعلام الثقافة اليهودية بالأندلس حسداى بن شبروط (ت ٩٧٠م) الذي أسهم في ترجمة كتاب الحشائش لديسقوريدس إلى العبرية ، ومن خطابه المتبادلة مع ملك الخزر يتبين إسهامه الواسع في علم الجغرافيا . وظهرت بقدرته على الترجمة في المهام الدبلوماسية التي أرسله فيها الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣) . وابن النغيلة (ت ٤٤٨هـ - ١٠٥٦ م) له ثلاثة

(١) محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس ، دراسة في النهضة الأدبية العبرية العامة ، المكتبة الثقافية ،

العدد ٢٣٧ ، ص ٨٢ .

(٢) Millas vallierosa: La poesia sagrada hebraico espanola 2. ed, madrid barcelona. 1948, p. 135.

(٣) Waxman, A; Ahistory of jewish literature.N.Y. Bloch publishing company, 1938 vol.1. pp 435-450

وانظر، ابن حيان ، للمقتبس ، ج ٥ ، شاليتا ص ٤٦٧ بجانب رقم ٣١٦ ، ص ٤٧٣ .

أعمال شعرية حاكى فيها أسفار الكتاب المقدس ، وشرح بعضها ، ونشر بالعبرية مقدمة للتلمود ، واثنين وعشرين عملاً في النحو ، وكان يجيد سبع لغات^(١) .

ويعد ابن جبير أول فيلسوف يهودى ، وكتابه "ميكور حايم" أى ينبوع الحياة Fons Vitae أنه بالعربية ، وترجم إلى العبرية واللاتينية والأسبانية ، وأثره واضح فى الفلسفة المدرسية فى العصور الوسطى ، كما ألف عدة كتب بالعربية ، ونظم فى النحو العبرى قصيدة على بحر الرجز العربى من أربعمائة بيت^(٢) .

مترجموا طليطلة اليهود :-

أصبحت طليطلة - بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ م - المركز الذى انتشرت منه الثقافة العربية واليهودية إلى باقى نواحي أسبانيا المسيحية وأوروبا .

وخلال حكم ألفونسو السابع (١١٢٦-١١٥٧م) لجأ إلى طليطلة نثر غفير من اليهود ناجين بأنفسهم من نواحي الأندلس الإسلامى ، بسب اشتداد عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين فى تعذيبهم .

الأسقف رايوندو (١١٢٦-١١٥٢م) :-

تولى رعاية جماعة من المترجمين والكتاب كون معهم ما يسمى بمدرسة المترجمين والكتاب الطليطليين Colegio de traductores toledanos ويرجع إليه الفضل فى إدخال النصوص العربية فى الدراسات الغربية ، وتحفيز أفراد هذه الدراسة فى نقل المؤلفات العربية . فتتمت فى هذه المدرسة ترجمة أمهات الكتب فى الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعى وما وراء الطبيعة وعلم النفس وعلم المنطق والسياسة ، وشروح المسلمين لأرسطو أو مختصراتهم له ، وهى شروح ومختصرات هامة وضعها فلاسفة مسلمون من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا والغزالى وابن رشد .

وقد ترجمت عن العربية كذلك مؤلفات إقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط ، بشروح أعلام الفكر الإسلامى عليها كالخوارزمى والبتانى وابن سينا وابن رشد والبطروجى وغيرهم^(٣) .

(١) Op. Cit., p. 217-218

(٢) Op. Cit., p. 218-327

(٣) بالنسبة ، أنخل جونثال : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٥٣٧ .

جنديسالفي ويوحنا اليهودي :

كان جند يسالفي أسقفا في شقوبية وواحدا من كبار كنيسة طليطلة الجامعة (ت ١١٨١م). ويوحنا اليهودي اعتنق النصرانية وسكن طليطلة ، ويبدو أنه هو الذي خلف رايموندو في أسقفية هذا البلد .

وعمل جند يسالفي بالإشتراك مع يوحنا في الترجمة ، حيث كان يوحنا يملئ ترجمة النص العربي بالأسبانية الدارجة ويقوم جند يسالفي بنقلها من الأسبانية الدارجة الدارجة إلى اللاتينية . وتوجد ترجمات من إنتاجهما لبعض مؤلفات ابن سينا والغزالي ، وكتب عربية في الفلك وصف النجوم .

ولم يقف جهد أسقف شقوبية عند حد الترجمة ، بل وضع كتباً من بنات أفكاره ككتابه خلود النفس ، الذي بناء على آراء استقامها من ابن سينا وابن جبرول ، وكتابه عن خلق الدنيا الذي وضحت فيه الفلسفة الأسبانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية ، وله كتب أخرى كثيرة .

يوحنا بن داود "الأسباني" :-

ترجم "كتاب العلل" في الطبيعة ، وآخر في المنطق .

جيراردو القرموني :-

قام بترجمة طائفة من كتب العرب في الفلك والطب ، وبعضها لأبى القاسم الزهراوى ^(١) . وساعد المترجم أندريا اليهودي الإنجليزي مايكل سكوت ، حيث كان يفسر له ما يقرأ ، فنقل بعض مؤلفات البطروجي وكتب ابن رشد إلى اللاتينية مثل السماء والعلم ، ورسالة النفس . ^(٢) وقام كثيرون غيرهم بالترجمة من الكتب العربية إلى العبرية التي كان الغربيون أعرف بها ، فنقلت من ثم إلى اللغة اللاتينية .

ج) الطب واللاهوت والفلسفة :-

حسداى بن شيروط :

يبدو أن رغبة حسداى وميله الأعظم كان إلى الطب أو التراكيب العلاجية ، أو ما نسميه اليوم علم الصيدلة . فدرس حسداى كتباً كتبها الأطباء العرب في المشرق أو ما

(١) بالنتيا : نفسه ، ص ٥٢٨ ، ص ٥٢٩ .

(٢) بالنتيا : نفسه ، ص ٥٢٩ .

ترجموه من اللاتينية في الشرق وكل هذا كان ميسورا في قرطبة الخلافة . وبدأ اسم حسداى يشتهر حين وفق إلى إعادة اكتشاف الترياق ^(١) . وهو نوع من البنسلين في تلك الأيام استخدم في شفاء عدد من الأمراض ومضاد للدغات الحشرات والحيوانات السامة.

ولقد كان الترياق معروفا منذ القرن الأول قبل الميلاد عندما اكتشفه الملك ما يثريد اتس أبوباتس : وبعد ذلك اتقنه أندروماك ، الذى كان من كريت ، وكان يعمل كطبيب للإمبراطور نيرون . وصنع منه أندروماك دواءً مكوناً من إحدى وستين مادة ؛ وقد عرف هذا الدواء في العالم كله . وفي القرن الثاني الميلادى كان يصنع بتوسع في الإمبراطورية الرومانية ، لكن معادلة التركيبة العلمية فقدت بعد ذلك ولم يستطع أحد أن يعرفها ^(٢) . وبعد بحث طويل وصل حسداى إلى معادلة التركيب لهذا الدواء ، وهذا الاكتشاف مكنه من أن ينضم إلى فريق أطباء وصيادلة بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر . ^(٣) وهو بين السادسة والعشرين والثلاثين من عمره .

وبعد خدمته في فريق أطباء وصيادلة الخليفة وتعرف عبد الرحمن الناصر على ذكائه وأسلوبه الرقيق في التعامل مع الناس ، جعله كاتباً من كتاب الخليفة وقربه منه ^(٤) . ولما تسلم الخليفة الناصر هدايا امبراطور القسطنطينية سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٧م كان من بينها كتاب ديوسقوريدس في فن تركيب الأدوية (الأقربانيات) في اليونان "مصوراً بالمنمنمات بالتصوير الرومي العجيب" ^(٥) . فطلب الخليفة من الإمبراطور أن يرسل له من يعرف اليونانية واللاتينية ، لكى يقوم بتحديد أنواع النبات التى ذكرها ديوسقوريدس - لا بترجمة الكتاب - فنشط في إنجاز ذلك العمل الراهب نيقولا الذى أرسله إليه الإمبراطور عام ٣٤٠هـ / ٩٥١م وكان يرافقه حسداى بن شبروط ، وأخذ يدرس معه ويكلمه باللغة اللاتينية (فقد كان الراهب

(١) هذا محصلة تعليم حسداى الذى جمع بين تعليم الشرق والمدرسة اللاتينية في المصور الوسطى بما تشمله من فلسفة ورياضيات وعلوم طبيعية . في ذلك انظر P. ١60 Ashor, op. Cit.

(٢) Jesus del Rosal, Hasdai b. Shaprut, Los Judios en Cordba, Tomo III, PP. 64-65.

(٣) كان بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر يضم كثيراً من الأطباء المسلمين والمسيحيين وأضيف إليهم حسداى اليهودى مما يدل على عدم وجود أى تفرقة في مجال العلم في ذلك الوقت . انظر في ذلك ما ذكره ابن حيان ، المصدر السابق ، ج ٥ ، شالميثا . ص ١١٦ .

(٤) ذكر ابن حيان في المقنبس أنه كان للخليفة الناصر ومن بعده كتاب في المحاسبة وفي كتابة الحوائج وغيرها . انظر في ذلك : ابن حيان ج ٥ المصدر السابق ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٥) بالنتيا نفسه ، ص ٤٦٣

يتكلم اللاتينية واليونانية) . واستطاع حسداى أن يترجم أسماء ٦٠٠ من النباتات والزيوت والمعادن إلى العربية وهى المواد الأولية فى كتاب ديومسكوريدس لأن الجزء الأكبر من النباتات ، والذي كان قد ترجمه الراهب اليونانى ستيقانوس ، كان مترجما . وعافوه فى ذلك محمد النباتى ، ورجل يسمى البسباسى ، وأبو عثمان الخزار الملقب بالبابسة ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم وأبو عبد الله الصقلى وكان عارفا باليونانية يتحدث بها وكان له إلمام بتركيب العقاقير .^(١)

ويعتبر موسى بن ميمون القرطبي (٥٩٢هـ / ١١٣٥ م - ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م) أمير مفكرى اليهود فى الأندلس . درس ابن ميمون فى مدارس اليهود والعرب فى قرطبة ، وتربى فى بيئة علمية ، وكان يحترف الطب ولكنه كان أيضا أستاذا فى العلوم والفلسفة^(٢).

وعندما بلغ الثلاثين من عمره صار عالما مبدعا من الطبقة الأولى . ثم هاجر مع آل بيته إلى القاهرة ، وكانت مصر فى هذه الفترة ملاذا لليهود الذين كانوا ينجون من الأندلس .

وانشأ يهود الأندلس جالية فى الفسطاط وأسسوا مدرسة لتعليم علوم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضة والطب ، وانضم موسى بن ميمون لهذه المدرسة ، وواصل البحث والدرس ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أساتذتها المبرزين ، والتف حوله كثير من شباب اليهود المتعطش للمعرفة .

مارس موسى بن ميمون الطب وذاع صيته وعالج الحكام الأيوبيين الذين استولوا على الحكم بعد زوال دولة الفاطميين سنة ١١٧١ م .

وعين موسى بن ميمون طبيبا خاصا للملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي^(٣).

وقد اعتنق موسى بن ميمون الإسلام فى أواخر أيامه ، وتوفى سنة ١٢٠٤م بعد أن ترك ثروة أدبية وعلمية وطبية وفيرة ، ولا تزال مؤلفاته من أهم الكتب التى يرجع إليها علماء اليهود فى الديانة والفقه اليهودى مما جعلهم يقولون "من موسى إلى موسى لم يظهر كموسى"^(٤) . وفى تراجم الرجال جاء "كان موسى بن ميمون عالما بالدين اليهودى وكان له

(١) انظر : Jesus del Rosal, op. Cit., pp. 68.69

(٢) لطفى عبد البديع : الإسلام فى إسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٤ .

(٣) جوزيف مال : مدينة المسلمين فى إسبانيا ، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي ، مكتبة المعارف ، الرباط ١٩٨٥ ، ص ٩٧ .

(٤) محمد بحر : نفسه ، ص ٩٠ .

تأثير بليغ عبقرى فى ترقية ذلك الدين حتى استحق أن يكون ثانيا لموسى المشرع الكبير (١) وجدير بالذكر أن معظم مؤلفاته الدينية كتابه المسمى "السراج" وقد ألفه فى القاهرة وهو شرح واضح لقسم من التلمود يسمى "المشنا" وقد ترجم إلى العبرية فى برشلونه سنة ١٢٩٦ م . وكتابه الفرائض وهو شرح للفتة اليهودى ، أما أشهر كتبه هو "دلالة الحائرين" الذى كتب فى الأصل بالعربية ، ومعظم الآراء التى يحويها عربى ، وقد ترجم ذلك الكتاب إلى العبرية واللاتينية ولغات أوروبية كثيرة ، من بينها الأسبانية حيث ترجمه إليها بدرو الطليطلى فى القرن الخامس عشر ، وهو يعتبر بحق تجميع لما فى اليهودية من لاهوت وفلسفة حاول فيه ابن ميمون أن يوفق بين العقل والدين كما فعل ابن حزم وابن رشد قبله (٢).

د) بزوغ النهضة الأدبية والعلمية اليهودية فى الأندلس:

كانت نتيجة الانتعاش الاقتصادى لليهود خلال القرن الأول للفتح الإسلامى للأندلس أن بدأ اليهود يفكرون فى إنشاء مراكز ثقافية يهودية يتنافسون بها المراكز التقليدية فى الشرق احتذاءً بالعرب . وبدأوا يشجعوا العلماء اليهود بالأموال لجذبهم من الشرق .

واختار يهود الأندلس قرطبة التى كانت تعج بالعلماء والفقهاء والفلاسفة المسلمين مركزاً لإتعاش الدراسات اليهودية . وقد دفعهم إلى اختيار هذه المدينة مركزاً ثقافياً وعلمياً لهم وجود مكتبة تضم آلاف المخطوطات فى مختلف أنواع الفنون والعلوم والآداب (٣). وقد أترك يهود الأندلس خلال القرن الأول من للحكم الإسلامى أن التفتة فى اللغة العربية وآدابها هو الطريق إلى وظائف الدولة والسبيل إلى التقرب إلى الحكام والوسيلة التى تمكنهم من معرفة علوم العرب وترجمتها . فانكبوا على دراسة اللغة العربية وعلومها بجانب العبرية ونبغ منهم الكثير (٤).

كان قيام الخلافة الأموية الأنسية فاتحة عهد جديد لليهود ولأكتب العبرى ، وذلك بفضل طبيب يهودى استطاع أن يكتب حب الخليفة عبد الرحمن الثالث "الناصر" وبقته ، ويدعى أبو يوسف حسداى بن اسحق بن عزرا بن شبروط (٣٣٣هـ / ٩٤٥ م - ٣٥٩هـ /

(١) جوزيف مال : نفسه ، نفس الصفحة .

(٢) بالنتيا : نفسه ، ص ٥٠٢ ، ص ٥٠٣ .

(٣) محمد بحر : نفسه ، ص ٢٢ .

(٤) محمد بحر : نفسه ، نفس الصفحة .

٩٧٠م) ، الذى ولد بمدينة جيان (Jean) وهاجر مع عائلته صيبا إلى قرطبة حيث درس الطب ومارسه .

وفى حوالى سنة ٩٥١ م ترجم كتابا فى الطب من اللاتينية إلى العربية ، وهو الكتاب الذى ألّفه باليونانية "ديوسقوريدس (Dioscorides) وقدم معارفه لموسى بن حانوك ومدرسته ، فلم تلبث أن أنجبت من أعلام الأدب العبرى رجالا مثل مناحيم بن سروق الطرطوشى ، ودوناش بن لبراط ممن افتتحوا عصر الازدهار للشعر العبرى والحديث . وقد اهتم أولئك الشعراء آثار الأدب العبرى وتمثلوا صورته وإن كان أساس لغتهم ولسانهم عبريين^(١).

كافأ الخليفة عبد الرحمن الثالث حسداى - بعد ترجمته لكتاب ديوسقوريدس - بتعيينه طبيبا فى القصر ، وانتفع برأيته باللغة اللاتينية عند استقباله لرسول أمراء ممالك أوروبا الناطقة باللاتينية ، وكان يستشيريه فى أمور الدولة الداخلية والخارجية وخاصة فى شئون التجارة ، وأصبح حسداى بن شبروط المهيمن على تجارة الأندلس وشؤونها الخارجية رغم عدم منحه لقب رسمى^(٢).

وقد ألف أول نحو علمى للغة العبرية يهوذا بن داود الذى يسميه بعض كتاب اليهود فيما خلفوه من كتب عربية: أبنا زكريا حيوج. وقد وضع نحوه باللغة العربية. ولهذا السبب لم يكن له صدق إلا بين يهود الأندلس.

وتعلم سلومون بن يهوذا الشهير بابن جبرول (٤١١هـ / ١٠٢١م - ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م) عن طريق الكتب العربية ، فقد قرأ كتب فلاسفة العرب وصقل ملكته بما فيها من الآراء والأفكار.

ويعتبر الباحث الحقيقى للشعر العبرى ، وكان أكبر شعراء عصره. وقد صب شعره على قوالب وبحور الشعر العربى. وفى باب الفلسفة ألف كتابه المسمى "ينبوع الحياة" باللغة العربية وتأثر فى تأليفه بمذهب ابن مسرة ، ولم ينتشر بين اليهود بسبب لغته العربية. أما النصارى فقد عرفوا هذا الكتاب عن طريق ترجمته اللاتينية. ولا يظهر الأثر العربى فى كبار مؤلفات ابن جبرول فحسب ، بل يتجلى كذلك فى كتاباته الصغيرة ، كما نرى فى النحو

(١) بالنسبة . نفسه ص ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) محمد بحر : نفسه ص ٢٢

العبري ومؤلفاته ككتاب "إصلاح الأخلاق" وهي رسالة في الأخلاق العملية، وكتابه "مختار اللآلئ" وهو مجموعة من حكم فلاسفة اليونان والمسلمين، وكلا من هذه الرسائل وذلك الكتاب باللغة العربية^(١).

ونال صموئيل بن يوسف بن نغريلة- الذي عاش بين سنتي ١٠٥٥, ٩٨٢ - مرتبة الوزارة في عصر الطوائف في بلاط ملك غرناطة "باديس" وبذلك أصبح ابن نغريلة أول يهودي وصل إلى درجة الوزارة رسميا وكان مسئولاً أمام "باديس" عن شئون الإمارة الداخلية والخارجية.^(٢) وبعد سنوات ولاء أمور الجيش فقاد ابن نغريلة الحملات الحربية ضد أعداء ملك غرناطة.

وتوافد كثير من اليهود إلى غرناطة يبتغون فضله، فشغل كثير من اليهود في عهده وظائف حكومية نذكر منهم اسحق بن يعقوب الذي كان صاحب الشرطة في غرناطة.^(٣) وكان ابن نغريلة سياسيا وشاعرا باللغتين العربية والعبرية، وله الفضل في تعظيم الشعر العبري بفنون جديدة اقتبسها من الأدب العربي كالشعر القصصي والغزل ووصف المعارك ووصف الطبيعة والرثاء والخمرات و الاخوانيات. ولم يقتصر ابن نغريلة على الأدب بل درس الفلسفة والمنطق والهندسة.^(٤)

وفي لوسانيا التي تقع شرق قرطبة وغرب غرناطة لمع اسم شاعر وفقه ذاع صيته وملاً أفاق الأندلس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر يدعى "اسحق بن غياث" ولد بلوسانيا سنة ١٠٣٨ م وتعلم بها وتخرج في مدرستها وأصبح رئيسا لهذه المدرسة، وأستاذًا متبجرا في التفسير والفقه اليهودي. وقد رفع من شأن مدرسة اللاهوت بلوسانيا وجند لها كبار عصره مثل اسحق الفاسي، ويوسف بن ميجاش - وقد اعترف يهود العالم جميعهم بمكانة هذه المدرسة العلمية وكانوا يستفتون علماءها دائما في مشاكلهم الفقهية. وقد نظم اسحق بن غياث من الشعر ما يربو على الثلاثمائة قصيدة دينية "بيوطيم". ويمتاز شعره بكثرة اشارته

Millas vallicrosa : Selomo-ibn Gabirol como poet -y- Filosofo, Madrid Barcelona, 1945, p (١)
p. 48-49

(٢) ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله ، المجلد الأول ، نشر الخانجي ، ص ٤٣٤.

(٣) ابن الخطيب : نفسه ، ص ٤٣٩ ، ص ٤٤٠ :

(٤) ابن الخطيب : نفسه ، ص ٤٣٩ :

إلى النظريات الفلسفية والطبيعية التي سادت في عصره، وقد نظم أشعاره الدينية على نمط الموشحات. (١).

ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي، تلاميذ اسحق بن غياث، واحتلوا مكانة أدبية مثل يوسف بن مهيل وموسى بن عزرا. ويوسف بن يعقوب بن مهيل من عائلة عريقة في العلم والأدب. كان شاعرا ممتازا وعالما في الأمور الدينية وعينه اليهود قاضيا شرعيا لهم حتى توفي سنة ١١٢٣م. (٢)

وبعد موت يوسف بن مهيل خلفه في منصبه فيلسوف يدعى أبا عامر يوسف بن صديق. والقارئ لمؤلفات هذا الفيلسوف يدرك لأول وهلة أنه متأثر بالفلسفة الإسلامية التي كانت سائدة في عصره. وفلسفته تتلخص في الآتي: "لا بد أن يعرف الإنسان نفسه، فمعرفة النفس تؤدي إلى معرفة الله وقدرته. وما جاء في الكتب المقدسة من أوامر ونواه لصالح الإنسان وليس لصالح الله الذي هو غنى عن هذا العالم ومكتف بذاته. وقد توفي هذا الفيلسوف حوالي سنة ١١٤٨م. (٣)

ومن أشهر التلاميذ الذين تعلموا على يد اسحق بن غياث موسى بن يعقوب بن عزرا (٥٣٢ / ١١٣٨م) الذي كان مولعا بالمحسنات البيعية وخاصة الجنس، فنتج على منوال الجنس العربي أبياتا عبرية، وتغنى في "ديوان" شعره بنكر الخمر والهوى والمسرة ولذات العيش على طريقة شعراء العرب، وله كتاب يسمى "المحاورة والمذاكرة" ضاع أصله العربي ولم يتبق لنا إلا ترجمته العبرية، وهو رسالة في فن الكتابة وتاريخ لشعراء اليهود من أهل الأندلس وأثارهم، وهو يضم كذلك أطرافا من الشعر العربي. وله كذلك كتاب قيم آخر هو "الحديقة في معنى المجاز والحقيقة"، وقد اندثر أصله العربي ولم يتبق لنا إلا فقرات من ترجمته العبرية المعروفة باسم "أرجات هابوشيم"، وهو كتاب ذو طابع فلسفي يجمع طائفة من الأمثال والحكم. (٤)

أما يهودا بن ليفي الطليطلي (٤٧٧هـ / ١٠٨٥م - ٥٣٧هـ / ١١٤٣م) أو يهودا هاليفي اللوى الذي يكنى العرب بابي الحسن، فقد نظم أشعاره في قوالب وموضوعات

(١) محمد بحر: نفسه، ص ٦١-٦٣

(٢) محمد بحر: نفسه، ص ٦٦

(٣) محمد بحر: نفسه، ص ٦٨

(٤) بالنتيا: نفسه، ص ٤٩٨، ٤٩٩

عربية ، ويؤكد من ترجموا له أنه كان يكتب العربية فى جمال نادر . وقد ألف رسالته المسماة "الحجة والدليل فى نصره الدين الذليل" فى عربية بليغة ، وقد ترجمها إلى العبرية يهودا بن طيبون باسم " سفر هاخزر " أى كتاب الخزر ، وقد استند يهودا فى تأليفه إلى حادث تاريخى ، وهو اعتناق ملك الخزر لليهودية ، ولهذا نراه يشيد بذكر دينه ويدافع عنه من الإهانات الكثيرة التى كان الناس يلحقونها به ^(١).

وقد لجأ كثير من اليهود إلى أسبانيا المسيحية، عندما أخذهم المرابطون والموحدون بالشدّة ، فازدادت الجاليات اليهودية فيها، وكانوا كالمستعربين واسطة لنقل مظاهر الحياة الإسلامية إليها ، ومن خلاصهم بدأ تفوق هذه الحياة وسموها الفكرى والحضارى، اذ كانوا بحكم دينهم أقرب إلى المسيحيين من المسلمين، فوثق فيهم الملوك فى أسبانيا المسيحية ، ووكّلوا إليهم كثيرا من المهام . وبذلك نستطيع أن نقول أن التراث اليهودى - وازدهارهم العلمى وثقافتهم - نبغ فى ظل الإسلام ويتشجع من المسلمين ، وفى ظل الحضارة العربية الإسلامية . وليس لليهود فى الأندلس حضارة خاصة بهم. فلم يكن هذا الازدهار الفكرى بين اليهود إلا ثمرة من ثمار الحرية السياسية والاقتصادية والأدبية والعلمية والاجتماعية التى حظى بها اليهود من العرب الفاتحين للأندلس.

(١) بالنتيـا : نفسه ، ص ٤٩٩ . . . ٥٠٠

مراجع البحث

أولاً: المصادر العربية الأصلية القديمة:

١- ابن الخطيب :

الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، المجلد الأول ،
نشر الخانجي.

٢- ابن الأبار :

الحلة السراء ، تحقيق حسين مؤنس ، نشر الشركة العربية للطباعة والنشر ،
طبعة دار المعارف ، ١٩٨٥ ، الجزء الأول.

٣- ابن حيان:

المقتبس ، الجزء الخامس ، نشر شالميتا وكورينطى ، المعهد الأسباني
العربي - مدريد ١٩٧٩ .

٤- البكري :

جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن الحجبي ، دار الإرشاد
بيروت ١٩٦٨.

٥- العذري:

نصوص عند الأندلس ، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات
الإسلامية ، مدريد ١٩٦٥.

٦- الأدريسي:

وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، من كتاب " نزهة
المشتاق في اختراق الآفاق " نشر دوزي ودي خوية .

٧- المقرئ :

نفع الطيب من ضمن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر
بيروت ، ١٩٦٨ ، الجزء الأول. وتحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١

٨- مجهول :

أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، تحقيق لا لافوانتا والكنترا ، مدريد ١٨٦٧.

ثانيا: المراجع العربية الحديثة والترجمة :

- ١- أبراهام ليون : المفهوم المادى للمسألة اليهودية .
- ٢- آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة عبد الهادى أبو ريّدة ،
الجزء الأول .
- ٣- انخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٩ م.
- ٤- جوزيف مال : مدنبة المسلمين فى أسبانيا، ترجمة محمد نقى الدين الهلالى ، مكتبة
المعارف ، الرباط ١٩٨٥ م.
- ٥- حامد ربيع : تأملات فى الصراع العربى الإسرائيلى ، القاهرة " بدون تاريخ".
- ٦- حسين مؤنس: فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ الجغرافيا والجغرافين فى الأندلس ، مكتبة
مدبولى ١٩٨٦ .
- ٧- عبد الرحمن زكى: غرناطة وأثارها الفاتنة ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٧٦ ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب .
- ٨- راشد حسين : حبيب نحرمان بيبالك ، نخبة من شعره ونثره ، القاهرة .
- ٩- رينو: تاريخ غزوات العرب ، ترجمة شكيب أرسلان ، القاهرة ، الطبى ، ١٣٢٥ هـ.
- ١٠- فؤاد محمد شيل: مشكلة اليهودية العالمية ، القاهرة "بدون تاريخ" .
- ١١- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية .
- ١٢- محمد بحر عبد المجيد: اليهود فى الأندلس ، "دراسة فى النهضة الأدبية العبرية
العامة" ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٣٧ .

1- Ashtor, Eliyah

"Korot ha- Yahudim bisfarad ha- musulmet" Vol.1, Orshalem, 1966; also an Eng. Trans. "The Jews of Moslem Spain", trans. From the Hebrew by Aaron Klein and J. Machlowitz Klein, The Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1973 . Vol.11, 1979.

2- Ballestros. Rafael:

Histoire d, Espagne de origines a nos jours, paris 1938.

3- Cecil Roth

History of the Jews in England, Oxford, 1941.

4- Craetz:

History of the jews , Vol. T.II, oxford.

5- Dozy (R) : Histoire des musulmans d, Espagne T.II, Leyden 1932.

6- Goitein, S.D.

"Minority Self Role and Government Control in Islam", studia Islamica 31 (1971): pp 101-116.

7- Jesus del rosal:

Hasdai b. shaprut, los Judios en Cordoba, Tomo III Madrid.

8- Levi Provencal:

Histoire de L ' Espagne Musulmane, paris 1950 Tom .1

9- Manuel torres Y Ramon Prieto:

La Iglesia en la España visgoda (Historia de España dirigida por Ramon Menendes pidal) Tomo III.

10- Millas Vallicrosa:

Selomo Ibn gabirol como poeta Y Filosofo, Madrid- Barcelona, 1945.

11- Savedra, Eduardo:

Estudio Sobre la invasion de los Arabes en España, Madrid, 1982.

12- Simonet, F.j.

"Historia de los Mozarabes de España", Madrid, 1983.

13- Waxman, M.

"A History of jewish Literature", 1938 . Bloch publishing company.

14- Wobster' s:

Biographical Dictionary.

15-Y. Baer:

A history of the jews in cristian spain, translated from the Hebrew, by Louis Schoffman, Philadelphia, 1971, Vol, I.